القدس في ضمير التّونسيّين ونضالهم
(عبد العزيز الثعالبي أنموذجا)

د/ بثينة الجلاصي
كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
بالقيروان.

المقدّمـــــــــــــة :

ينبع اختيارنا هذا العنوان من قناعة أكّدتها الأحداث التّاريخية المتّصلة بالأمّة العربيّة الإسلاميّة وتتمثل في أنّ القضيّة الفلسطينيّة لم تكن قصرا على الفلسطينيّين وحدهم بل هي قضيّة المثقّفين في كلّ الأقطار الإسلاميّة تقريبا وباعث من بواعث القوميّة وترويج الفكر القومي عامّة، وهو أمر أكّدته جريدة الزّمان سنة 1929م إذ صدر فيها ما يلي "أصبحت قضيّة فلسطين حديث اليوم في كلّ ناد : تلك القضيّة الشّائكة المعقدة التي أحدثها إعلان "**اللّورد بلفور**" بأنّ بلاد القدس موطن قومي لليهود والتي زادها إشكالا ما في غزاة الصهيونية من

التطرف والشّطط، وبرغم مرور عشر سنوات على تاريخ الإعلان ودخول فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وبرغم ما أحدثه الصهيونيّون من الأسس القوميّة كبناء الجامعة العبريّة التي تقصد إلى إحياء لغة التّوراة وبعث آدابها من الموت وكإنشاء المستعمرات الفلاحيّة واستجلاب سواد الاسرائليّيين إليها من كلّ صوب وحدب، فإنّ العرب مازالوا متشبثين بقوميتهم يدافعون عن بلادهم بكل ما أوتوه من حول وطول [1] ولم ينأ المفكّرون التونسيّين عن الخوض في قضايا الاحتلال اليهودي الفلسطيني وفي اعتبار القضيّة الفلسطينيّة جرحا ينزف في قلوب العرب عامّة، سيّما أنّ البلاد العربيّة قد مرّت بفترة حرجة تمثلت في الحربين العالميّتين من جهة، وتغلغل الاستعمار سياسيّا واقتصاديّا، من جهة أخرى ومهادنة السّاسة العرب وعدم فهمهم خطورة الوضع التّاريخي الذي تمرّ به بلدانهم، من جهة ثالثة.

إن قضيّة القدس قد ترسّبت في الضّمير التّونسي وترسّخت في علاقتها بالهويّة العربيّة والحركة الوطنيّة التونسيّة، وفي علاقة الصهاينة بالاستعمار العالمي، ولم يشمل هذا الشّعور الطّبقة المثقّفة فحسب، بل تعدّاها إلى المواطن العادي، يقول عفيف البوني متحدّثا عن دور التّونسيّين بعد الاعتراف الدّولي بالكيان الصّهيوني " **لذلك تأجّج الشّعور القومي إلى الحدّ الذي لم يسبق له مثيل حتّى في القضايا الوطنيّة ... وكانت نتيجة هذا الحدث القومي أن تعالت الأصوات المنادية بالجهاد المقدّس والمشاركة في حرب التّحرير العربيّة وإرسال المساعدات المختلفة، وأصبحت قضيّة فلسطين قضيّة قومّية مركزيّة تحتلّ الصّدارة من بين ما يشغل بال المواطن العادي وتوضّحت في النّاس**

1) جريدة "الزمان " س 1، ع 20، 11 سبتمبر 1929 .

العلاقة الصّميمة بين الحركة الصهيونية والاستعمار العالمي" [2] وقد توضّح هذا التّرابط بين وضعيّة تونس المستعمرة ووضعيّ فلسطين المحتلّة في قصيدة لأمير شعراء تونس محمّد الشّاذلي خزندار إذ يقول :

" نادتك يا أختها الخضرا فلسطين صنوان في الرأي بلفور ومورينو
التوأمان ســـواء في خـــــيالهمـــا سارا ولكن كما تسري الثعابين
هذا المحبذ صهـــــيونيّـــة ملئــت حمقـــا وذلك بالتّجنيـــس مفتـــون
إن أرضختنا الليالي وهي خاجلـــة أو قال قـــائلـــهم "إنّا مساكيـــن"
قل قولنا الفصل للمستقبل انتظروا ما بينها يومها تقضي الموازيـــن " [3]

وعلى هذا الأساس، حاولنا أن ننظر في أبعاد القضيّة الفلسطينية وفي صورة القدس في الضّمير التّونسي عند شخصيّة كانت لها صولاتها في حركة التّحرير التّونسي والعربي بصفة عامة إلى جانب تنوّع رؤاها وثراء مشاريعها، وقد عبّر عجاج نويهض عن شخصيّة الثعالبي فرأى أنّه أخذ من جمال الدين الأفغاني حماية بيضة الإسلام ومن عبد الرحمان الكواكبي السيّاحة ودراسة شؤون العرب والمسلمين عن كثب، ولكن مصباحه كان مصباح ابن خلدون [4].

وإلى جانب هذه الميزات التي يتمتع بها الرجل، فإنّ اختيارنا عبد العزيز الثّعالبي يعود إلى أنّه كان رجل موقف، وأنّه خطا خطوات جسيمة لم تتوقف عند إلقاء الخطب والإقناع بالكلمة وإنّما تجسّد في ممارسة عملية من خلال المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالقدس سنة 1931 م وتحدّى فيه معية الحاج أمين

2) البوني (عفيف) : وعي الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث،منشورات العالم العربي، (دت)، ص105.

3) خز ندار (محمد الشاذلي) : الديوان، الدار التونسية للنشر 1972، ج 2 ، ص 26.

4) النويهض (عجاج) : الثعالبي انطباعاتي عنه في فلسطين ، مجلة الاديب، س 33 ، 1974 ص 2.

الحسيني (1897 – 1974) عديد العراقيل سواء من داخل البلاد العربيّة والإسلاميّة أو من الدول الاستعماريّة، وأدّى هذا التحدي إلى إحباط مناورات المعارضين وعقد المؤتمر.

يثير هذا المؤتمر الإسلاميّ في النّهاية أسئلة كثيرة : أولّها ماهي الظّروف التاريخيّة التي حتمت انعقاده والتي كانت باعثا على جمع كلمة العرب والمسلمين في تلك الحقبة الزمنيّة الحرجة؟ ثم إلى أيّ مدى كان الثّعالبي فاعلا فيه ؟ وماهو الأثر الذي خلّفه في العالم العربي آنذاك ؟ وماهو صدى هذا المؤتمر في المؤتمرات المنعقدة لاحقا في القدس وعلاقتها بالنّضال ضدّ الكيان الصّهيوني ويتوحّد الرّؤى والأحزاب على اختلاف منطلقاتها وانتماءاتها ؟

1 – وضع العالم العربي في الثّلاثينات :

أ – **سياسيّا** : لقد تميزت العلاقات الأوروبيّة بأزمة عامّة ظهرت في العلاقات الدوليّة التي سادها منذ الثلاثينات توتر مطّرد تضارب مع فترة الانفراج من سنة 1925–1929 م ثم تلت ذلك الأزمة العالمية سنة 1929 م، فتسببت في اختلال الاقتصاد العالمي الذي تميز بدعم القومية الاقتصادية وتفاقم التناقض بين مجموعة من دول غنيّة هي الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا وفرنسا ودول فقيرة هي اليابان وألمانيا وإيطاليا.

وقد أدّى هذا التقسيم الاقتصادي بين البلدان إلى بحث الدّول الفقيرة عن ضمان المجال الحيوي لسكّانها واقتصادها، وذلك من خلال سياسة التوسّع في الشّرق الأقصى فتراجعت الدّيمقراطيّات الغربيّة لتهدّد السّلم العالمي، سيّما أنّ عصبة الأمم عجزت عن ضمان الأمن الجماعي، ولعلّ أهمّ مظهر لذلك هو عجزها عن الحسم في قضيّة نزع السّلاح إذ انعقد منذ فيفري 1931 م بجينيف مؤتمر لتدارس هذه القضيّة، وكان ذلك بمشاركة ألمانيا وهي عضوة في المنظّمة منذ 1926 م، إلاّ أنّ احتداد الموقف بين ألمانيا وفرنسا في مساواتهما

في التّسليح أدّى بألمانيا إلى مقاطعة المؤتمر، ثمّ كان انسحابها من عصبة الأمم سنة 1933م لتعيد تسليح البلاد من جديد خاصّة منذ ارتقاء هتلر الحكم في السنة نفسها.

وعموما، فقد تميّزت الأوضاع السياسيّة العالميّة في هذه الفترة بظهور الأنظمة الديكتاتوريّة، إذ أدّى تدهور الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة إلى اشتداد الصّراع بين الأحزاب السياسيّة وإن استطاعت بعض البلدان السّيطرة على الأزمة باتخاذ مجموعة من الإصلاحات الجوهريّة خاصّة فرنسا وانجلترا، فقد فشلت أغلب بلدان أوروبا في القضاء على الأزمة نتيجة لتضارب الاتّجاهات السياسيّة الشيء الذي ساعد على قيام أنظمة سياسيّة قومية ترتفع عن الخصومات السياسة وتضع مصلحة البلاد فوق كلّ اعتبار وتعرف بالأنظمة الديكتاتورية مثل الفاشية في ايطاليا والنازية في ألمانيا والفرنكية في اسبانيا، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الصّعوبات التي تعرضت إليها ألمانيا وعجزها عن تسديد ديونها جعلت الولايات المتّحدة الأمريكيّة المعوّل الأوّل لألمانيا تتخلّى عن هذه الدّيون، وقد أفرز هذا القرار توتر العلاقات بين الدول الأوروبيّة وفرنسا وانجلترا المساندة لسياسة الولايات المتّحدة وحمل بعض البلدان كايطاليا وألمانيا إلى البحث عن مستعمرات للخروج من الأزمة.

ب – اجتماعيّا :

ازدادت البطالة في العالم نتيجة ضيق سوق الشّغل، وشملت البطالة أغلب بلدان العالم المصنّعة، وقد امتدت إلى كل القطاعات العامة والخاصّة فتضرّرت الطّبقات الضّعيفة والمتوسطة، وساءت العلاقات بين الفئات الاجتماعيّة واضطرّت بعض البلدان إلى غلق حدودها أمام هجرة عمّال الأجانب وعرفت بلدان أخرى ظاهرة التمييز العنصري، وشهدت ألمانيا استفاقة الحركات المعادية الصهيونيّة.

ج – **اقتصاديّا :**

انخفض الإنتاج الصّناعي بنسبة 38 % بين سنتي 1929م و1932 م وقد تبع هذا الانخفاض على مستوى الإنتاج انخفاض في قيمة أسعار الجملة، وتضرّرت بالدرجة الأولى البلدان التي تربطها مصالح اقتصادية ومالية بالولايات المتحدة الأمريكية، ونذكر من بينها النمسا وألمانيا وبولونيا، وكذلك البلدان المصدّرة للمواد الأوليّة بسبب ركود التّجارة العالميّة كأمريكا الجنوبيّة وكندا ومستعمرات أخرى، وانخفض حجم المبادلات التّجاريّة العالميّة بسبب انخفاض أسعار التّصدير بالنّسبة إلى المواد الصناعيّة والفلاحيّة وذلك بالرّغم من محاولة طرق جديدة لتنشيط التّجارة الخارجيّة عن طريق إبدال بضاعة ببضاعة، أو عن طريق إغراق الأسواق.

2 – وضع العالم العربي والإسلامي في الثّلاثينات :

أ – **الانتداب الفرنسي البريطاني للشرق العربي :**

بعد الانتداب الفرنسيّ على سوريا سنة 1920م وقيام الثّورة السّورية الكبرى بين 1925 م و1927 م والتي قادها باشا الأطرش لتهدئة الأوضاع صادق المندوب الفرنسي Pensot يونسو على تعيين حكومة وطنيّة وإجراء انتخابات لوضع دستور للبلاد في سنة 1928 م، لكن فرنسا تراجعت في وعدها وألغت الدّستور وحلّت المجلس النيابي وقطعت المفاوضات، ممّا أدّى إلى تأزّم الوضع في سوريا وبدأت المقاومة نضالها من جديد كما تواصلت الاضطرابات في كامل لبنان من أجل التحرّر بعد فصلها عن سوريا وتعيين حاكم فرنسي سنة 1926 م.

وفي الأردنّ اتّفقت السّلطات الفرنسيّة الانجليزيّة مع الأمير عبد الله على أن يتخلّى عن سوريا في مقابل منحه عرش الأردن بعد اتفاقية القاهرة 1921 م، ثمّ فرضت على عبد الله سنة 1928م معاهدة القدس ليعترف فيها بصلاحيات

واسعة لبريطانيا من بينها احتفاظها بالشّؤون الخارجيّة واستشارة المقيم البريطاني في المسائل الهامّة وإنشاء قواعد عسكرية وقد أدت هذه المعاهدة إلى انتفاضة وطنيّة تواصل نضالها إلى سنة 1946 م.

أمّا في العراق، فقد حمل استمرار الثّورة العراقيّة السّلطات البريطانيّة على إعلان الاستقلال التّام سنة 1930 على أن تمنح العراق بريطانيا تسهيلات من أهمّها إقامة قاعدتين عسكريتين بالبصرة الجنوب والأخرى في غربي نهر الفرات في الشّمال، وفي سنة 1932 دخلت العراق ضمن الأمم المتّحدة وواصل الشّعب العراقي نضاله من أجل المطالبة بجلاء القوات العسكريّة البريطانيّة عن ترابه.

أمّا في السعوديّة، فقد أصدر السّلطان عبد العزيز آل سعود سنة 1932م مرسوما ينصّ على توحيد المملكة نجد والحجاز وعسير في مملكة واحدة أطلق عليها اسم المملكة العربية السعوديّة، وأصبحت لها أهمية كبرى بعد اكتشاف النفط سنة 1933 م.

وقد تميز الوضع في مصر في الثّلاثينات بتوتر العلاقات المصريّة الانكليزيّة بعد تراجع انكلترا على مصادقتها على إصدار دستور سنة 1923 م وفوز زعماء الحركة الوطنيّة في الانتخابات التّشريعيّة وتكليف سعد زغلول سنة 1924 م بتكوين حكومة جديدة ويعود ذلك إلى خوف انكلترا على مصالحها فعملت ما في وسعها على تعطيل العمل بالدستور.

ب - وضع بلدان شمال إفريقيا :

ولم يكن الوضع في شمال إفريقيا بأحسن حال، فقد كانت ترزح تحت وطأة الكوارث الطبيعيّة وتردّي الأوضاع العالمية من جهة وتغلل الاستعمار الفرنسي والإيطالي والانجليزي من جهة أخرى، وقد حاول الاستعمار طمس

شخصية هذه الشعوب وإثارة غيرتها البربريّة وفصلها عن الشريعة الإسلامية، وتجلّى ذلك مثلا في المؤتمر الأفخارستاني الذي انعقد بقرطاج من 7 إلى 11 ماي سنة 1930 م وهو عبارة عن تظاهرة دينيّة مسيحيّة عالمية لتأكيد الحضور المسيحي بتونس وغيرها من بلدان المغرب [5] وهو ما حمّس الحركات التحررية في هذه البلدان على المقاومة والنّضال.

3 - الثّعالبي والقدس :

أ - علاقته الرّوحيّة بالقدس :

حلّ الثعالبي بالقدس حوالي 1923 م عندما دعاه صديقه الحميم سماحة السيد الحسيني رئيس المجلس لزيارته، ويذكر عجاج نويهض في مقاله "**انطباعاتي حول الثعالبي**" أنّ الثّعالبي ألقى على صفوة الجمهور في كليّة روضة المعارف محاضرة موضوعها وصف الفتوح الأولى في شمال إفريقيا فشرح مزايا القادة العرب المسلمين (.......) يقول وفي تلك اللّيلة كما اذكر كتبت إلى الأمير شكيب رسالة طويتها على ما شاهدنا من روائع الثّعالبي في

5) جريدة " صوت التونسي" في 3 ماي 1930 م – المجلة التاريخية المغربية السنة 7 العدد 19 و20 اكتوبر 1980 م ،ص 274 مقال تحت عنوان ظاهرة مربية وهو عبارة عن رسالة موجهة الى الباي ومختومة بـــــ678 توقيعا جاء فيه " اما وقد اصبح الحال على غير ما كنا نعتقد واصبح المؤتمر عبارة عن حملة صليبية كما يقول اسقف قرطاجنة وان كان ملؤها المحبة والسلام واصبح الدافع لعقده هو الفكرة التي كانت تدور بين جنبي "سان لوي" واضحى من اعماله نشر المسيحية في افريقية الاسلامية .....واننا لناسف لهذا ونتالم للصبغة الحقيقية التي يصطبغ بها هذا الاجتماع وهذا ما يدفعنا ونحن ابناؤكم البررة المخلصون المحترمون لتلك الاداب الاسلامية التي عرفتم بالتمسك والغيرة عليها ان نضرع اليكم طالبين منكم مشاركةامتكم في اعلان عدم رخاها عن هذه الصبغة غير اللائقة التي ضهر فيها هذا المؤتمر وذلك بتخلي سموكم عن رئاسة الشرفية بناء على كون الحملة صليبية وتنفيذ فكرة "سان لوي" ليس الاعلان بها من الحكمة ولا من اداب الضيافة في شيء خصوصا في بلاد مضى على الاسلام فيها اكثر من ثلاثة عشر قرنا ولنا في كرم الاخلاق مولانا وتشعبه بمبادئه الاسلامية وغيرته على عقيدته وشعور امته وقيامه بالدفاع لفائدة بقاء الاسلام دينا راسخا في هذه البلاد خير كفيل للاجابة هذه الدعوة والله يحفظكم ويرعاكم بعين عايته انه سميع مجيب".

كليّة الروضة فأتاني جواب بعد نحو من أسبوعين من الأمير يقول لي فيه أن اذهب إلى صديقه النّازل بفلسطين وبلّغه السّلام، وأمّا بشان وصفي للأمير فقد قال لي أن الثعالبي بحر لا ساحل له (6).

إن علاقة الثّعالبي بالقدس لم تكن علاقة سائح مغربي بالبلاد المشرقية، وانّما كانت تربطه بالشّرق وبالقدس خاصّة روابط روحيّة عميقة، إذ كان يشارك سكّانها أعيادهم واحتفالاتهم ويسعى إلى رؤيتهم في كفاحهم اليومي في الحقول والمزارع، وكان يرى في هذا الكفاح وجها آخر من وجوه النّضال والإصرار على البقاء وتحدي العراقيل وقد نقل لنا عجاج نويهض هذه الصورة باعتباره شاهد عيان على هذه الروابط الروحية يقول "وكان يخرج هو والسيد الحسيني إلى ريف فلسطين ليشاهد طبيعة البلاد وطبائع أهلها وأخلاقهم وهم عرب جرى تعديلٌ في توزّعهم في البلاد بفعل الحروب الصّليبية ثم استقروا في أماكنهم هذه، ولا سيّما القبائل الجنوبيّة حتى اليوم، وكان يحضر المواسم والأعياد الّتي تقع في أثناء وجوده في فلسطين (7).

لقد كان الثّعالبي يرى في الفلسطيني ضحيّة وذلك نتيجة تهاون العرب والمسلمين في التـفريط في الذّود عن الأمّة عامّة، وكان يرى في فلسطين وفي القدس خاصّة الأرض الضّائعة لما حوت عليه من مقدّسات دينيّة حاول الصّهاينة طمسها والاستيلاء عليها، ولذلك كان دائما ما يربط القضيّة الفلسطينيّة بقضيّة الهويّة العربيّة من جهة، وبقضيّة القوميّة دون أن ينسى إبراز كلّ ذلك بالنّزعة الدّينية المتجذرة في المسلم يقول "نعم يحاول اليهود الصهيونيون لمّ شعثهم وجمع أشتاتهم من الأقطار وهم يطمعون في فلسطين أن تكون معادا لهم ولتحقيق هذا الطمع الأشعبي فهم يعتمدون على يهود العالم ويصطنعون كلّ قوّة

---

6) الثعالبي : انطباعاتي عنه، ص 5.

7) الثعالبي : انطباعاتي عنه، ص 5.

سياسيّة لتحقيق مآربهم من التغلب على العرب الفلسطينين القلائل وانتزاع هذه الدرّة الغالية في تاج السّلطة العربيّة العظيمة وماهي في الحقيقة لو عقلوا إلاّ أمانة المسلمين جميعا موضوعة في أعناق الفلسطينين فخروج أيّ شبر من أراضيها وانتقاله إلى حوزة اليهود أو غيرهم تبعة ذلك ملقاة عليهم جميعا [8].

لقد كان الثّعالبي على وعي تامّ بالاستفزاز اليهودي الرّوحي للمسلمين وللنصارى في القدس، وكان على وعي أيضا بأنّ هذه الخطابات الصّهيونية إنّما هي وجه من وجوه نشر السّلطة وترويجها لتوهين العرب والمسلمين وازدرائهم، ولذلك كانت خطاباته مشحونة بنزعة وجدانية تغلب عليها المشاعر والغيرة على الماضي يقول "أجل يمكن لليهود الصهيونيّون أن يدّعوا لأنفسهم ما شاءوا في فلسطين فدعهم يخدعون بعضهم البعض بالأماني الكواذب في الاستيلاء على معاهدها التاريخية التي كانت لغير أجدادهم من قبل فهي في نظر التّاريخ والقانون موطنا لهؤلاء الأعقاب لا لهؤلاء الجوالي من الاسرائليّين فدعواهم أنّهم أحقّ بها من سلائل العرب ومحاولتهم الرّجوع إليها اعتداء على الحق الطبيعي وافتراء على التاريخ وهذا ضرب من الهذيان يتلقاه العرب بشيء من الامتعاض مع جانب كبير من السخرية والازدراء [9] وصفوة القول فإنّ عبد العزيز الثّعالبي لم يكن ينظر إلى القدس على أنها بلد محتل وجب على العرب استرجاعه، وإنّما كان ينظر إليها نظرة حنين إلى استرجاع مجد ضائع واستشراف مستقبل يكون فيه العرب والمسلمون متّحدين في إثبات هويّـتهم والمحافظة على مقدساتهم لأنّها ذاكرة هذه الهويّة وإخبار عن تاريخها وتجذرها في الفعل الإنساني يقول الثعالبي " ويوم يقيض الله للمسلمين أن يعقدوا هذا الاجتماع في بيت المقدس أولى القبلتين وثالثة الحرمين الشّريفين، فإنّه سيحدث

8) خلفيات المؤتمر الاسلامي، مذكور، ص 1931.
9) خلفيات المؤتمر ،ص 29 .

له أثر عظيم في أفكار المسلمين لم يسبق له مثيل كيف لا وهم ما انعقد لهم إجماع منذ افترقوا في حرب صفين (......) يشعر العالم بأسره أنّ للمسلمين همة عالية تشغل أفكارهم جميعا، وهي المحافظة على البقاع المشرفة التي نالت قدسيّتها وحرمتها من نصوص الدّين ورسخت في النّفوس رسوخ العقائد، فليس في إمكان مسلم مهما كان ضعيف الإيمان التّهاون بشأنها [10].

ب – سياسيّا :

انطلقت تجربة الثّعالبي السياسيّة في القدس منذ العشرينات بإلقاء خطب سياسيّة تحث همم الشّعب الفلسطيني على النّضال والتصدّي للاستعمار الانجليزي الذي بات يساند الاستعمار اليهودي ويوسع نفوذه على أرض فلسطين. والحقيقة أنّ هذا الوعي لم يتفرد به الثعالبي دون غيره من المثقفين التونسيين في تلك الحقبة، وهو ما يتجلى مثلا في ما نشره توفيق المدني في جريدة الإرادة يقول "أمّا إنّ انجلترا تحمي الاستعمار اليهودي وتسعى إلى توسيعه وتوطيد قدمه فهذا ما لا يحتاج إلى دليل، وسياسة انكلترا كلها منذ ذلك اليوم الأتعس الذي رفعت فيه علمها فوق جدران القدس الشّريف يوم 9 سبتمبر 1917 م بمساعدة أشراف العرب وسواعد الأعراب وأسفاه لا ترمي إلاّ إلى تغليب جانب اليهود على جانب العرب، وأقدمت على تحمل مسؤوليّة المآسي والنّكبات الّتي حدثت في البلاد من أجل ذلك، وان دماء شهداء فلسطين الذّين ماتوا تحت ضرب الرّصاص أو في حبل المشانق لا تزال حامية تطلب إلى الله أن ينتقم لها من الظالمين " [11].

10) المصدر نفسه، ص 28.

11) جريدة الارادة ع 5،س 22،1 جانفي 1934، مقال "مال فلسطين " لأحمد توفيق المدني.

إلاّ أن تجربة الثّعالبي السياسيّة في القدس لم تقتصر على إلقاء الخطب أو الكتابة في الصّحف بل تعدّتها إلى الممارسة وذلك من خلال دوره الفعال في فعاليّات المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة 1931 م ويمكن إجمالا أن نتبيّن مظاهر هذا الدور في ثلاثة مستويات أولّها تحضيرات المؤتمر وثانيها التصدّي للعراقيل والدّسائس وثالثها توحيد الصّفوف وإقناع الدّول.

- تحضيرات المؤتمر :

لم تكن فكرة عقد مؤتمر إسلامي بالقدس يضم الدول العربية والإسلامية فكرة تفرّد بها الحاج أمين الحسيني ،وإنما كانت فكرة صديقه عبد العزيز الثّعالبي أيضا وقد بيّن غير واحد من المؤرخين للقضية الفلسطينية هذا الأمر إذ يذهب حمادي السّاحلي وكذلك السيدة خيرية قاسميه إلى أن أهمية الوثائق المتعلقة بالمؤتمر "تعود إلى الموضوع الذي تبحث فيه والى مكانة مؤلفها الذي يعتبر بحق إلى جانب صديقه الحاج أمين الحسيني صاحب فكرة عقد مؤتمر إسلامي في فلسطين من اجل إثارة اهتمام الرأي العام الإسلامي وكسب عطفه وتأليف جبهة إسلامية قوية تستطيع الوقوف في وجه الصهيونية العالمية [12] ولذلك لم يتوان الشيخ الثعالبي عن رئاسة اللجنة التحضيرية و إصدار الدعوات إلى رؤساء الحكومات في كل الأقطار وتلقي المقترحات، ويستشف الباحث ذلك من خلال شهادة الثعالبي نفسه إذ يقول " ويلوح لنا من إصدار الدعوة قبل شهرين من تاريخ عقد المؤتمر أن اللّجنة رمت أولا إلى أن تترك وقتا كافيا لوصول رسائل الدعوة إلى الملوك والأمراء والكبراء في الأصقاع البعيدة وثانيا إلى أن يكون لدى جمهرة المدعوين مجال للتّفكير والاستعداد وموافاة أعضاء

12) خيرية قاسمية : المؤتمر الاسلامي العام في القدس ،1931 بحث قدم الى الندوة الثالثة حول تاريخ الحركة الوطنية التونسية المنعقدة بتونس أيام 17 و18 و19 مايو 1985 حمادي الساحلي مقدمة كتاب خلفيات المؤتمر مذكور، ص 8.

اللجنة التحضيرية بالمقترحات المفيدة لكي تتوفر لديها مجموعة من سديد الآراء وناضج الأفكار تقدمها للمؤتمر بدون استقلال من جانبها في الرأي [13].

لقد تألّفت اللجنة التحضيرية من ستة عشر عضوا كلّهم من الفلسطينيين ما عدا رئيس اللجنة الشّيخ عبد العزيز الثعالبي، وضمّت عضوين فقط من المجلس الإسلامي الأعلى وهما الحاج أمين الحسيني وأمين التميمي " [14]، وقد أسندت إلى الثعالبي العناية بمناهج التعليم ولجنة المقترحات والأعمال التحضيرية وسجلت محاضر جلسات في هذا الشأن نذكر من بينها القضايا المتعلقة بالجلسة الأولى المنعقدة في 18 أيلول 1931 م وهي القضايا الباعثة على عقد مؤتمر منها قضية البراق الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من المسجد الأقصى، ولذلك يعتبر الثعالبي وأعضاء اللجنة أن تتسلط على البراق حكومة أجنبية تقدم على أن تولّي نفسها حق التشريع والحكم والفصل في هذا المكان

13) خلفيات المؤتمر ، ص 41.

14) المصدر نفسه، ص 263.

تقرر أن تؤلف اللجنة التحضيرية للمؤتمر من أعضاء اللجان الدائمة ومن سواهم من الأعضاء الذين ينتدبون :

سيادة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي (رئيسا)،
سماحة السيد امين افندي الحسيني (وكيل رئيس)،
امين بك التميمي،
الشيخ اسماعيل افندي الحافظ،
الشيخ عبد القادر افندي المظفر،
الشيخ توفيق افندي الطيبي،
الشيخ محمد افندي الصالح،
الشيخ محمد الخطي،
الشيخ حسن افندي ابو السعود،
الدكتور حسام الدين افندي ابو السعود،
اسحاق افندي درويش،
ابراهيم افندي درويش،
الشيخ ناصر حسن الانصاري،
مراد افندي الاصفاهني،
جمال افندي الحسني،
عجاج نويهض.

هو في حكم الاعتداء والتسلط على المعتقدات والمقدسات الإسلامية، ولذلك فلابد من تقرير المرجع الإسلامي الذي يملك دون سواه ولاية الحكم والبتّ في قضية البراق الشريف وغيره من الأماكن المشرفة الإسلامية، وهو ما يدعو إلى بيان الأخطار والأضرار الناجمة عن تمكّن اليهود في فلسطين من الوجهة الدينية الإسلامية وتعيين الوسائل التي يجب اتخاذها لصدهم عن ذلك كاشتراء الأراضي ووقفها على المشاريع الخيرية الإسلامية العامة وإيجاد المؤسسات المالية للارتهان وإقراض المزارعين على المحاصيل وغير ذلك، وكذلك مساعدة على تكثير اليد العاملة لتكوين المشاريع الاقتصادية وتوفير الإنتاج على أوسع نطاق ممكن، ومن جملة البقاع المشرّفة في فلسطين " الحرم الشريف، البراق الشريف، جدار البراق، مقام النبي داود، الخانقاه الصلاحية، قبة راجيل، الحرم الإبراهيمي، مقام النبي شمويل وغيره.

أمّا القضيّة الثّانية، فتشمل قضية فلسطين من الوجهة الإسلامية العامّة ،وذلك بالاحتفاظ بالكثرة العددية والملكية على النسبة التي يقررها المؤتمر ويتحقق ذلك بالعناية بالصحة وإيجاد المستشفيات والمصحّات وإنشاء مراكز للتدريب الزراعي والصناعي.

أمّا القضية الثالثة، فتتمثل في نشر الثقافة الإسلاميّة وتحقيقها من ذلك : وضع موسوعات عربيّة للدّين واللغة والتاريخ وتأسيس معهد جامعة إسلامية لتحقيق هذا الغرض يقبل فيه طلاب من الأقطار الإسلامية كافة ثم ضع منهاج عام لتوحيد طرق التربية والتعليم.

أ- مواجهة صعوبات المؤتمر :

لقد خصّص الثعالبي في تقاريره المكتوبة بخط يده عن فعاليات المؤتمر جزءا كبيرا للحديث عن المؤامرات التي حيكت ضد المؤتمر سواء من قبل الصهاينة أو العرب داخل فلسطين وخارجها، وكان الثعالبي إذ ينقل هذه

الصعوبات والمكائد يتألم شديد الألم لوضع الأمة العربية والإسلامية يقول " ولا خفاء أن أيدي المعارضين هي أعلم بالكيد وأقدر على المضرّة وأمهر في الدسّ والفتنة فهم يعملون ضدّ قومهم أضعاف ما يعمله أعداؤهم، يعملون لهم بجد وإخلاص كمن يتقرب إلى الله وهذا لعمرك منتهى العجب " [15].

لقد نقل لنا الثعالبي حملة كبار مشايخ الأزهر على المؤتمر وكان يعتبر ذلك فضيحة هزت كيان الأمة الإسلامية وأوساط المثقفين [16] في ذلك العصر، فلم يملك نفسه أن ينقلها للتاريخ بمرارة كبيرة يقول " ما كنّا نود التعرض لهذه الحملة الآثمة المدبّرة من قبل كبار مشايخ الأزهر لو وسعنا السّكوت عليها، ولكن ويالللاسف ليست من المؤامرات التي تطوى فتنسى وأثرها لم يزل بارزا فيما كتب عن المؤتمر لإحباط السعي في انعقاده إزاء ما يكتبه عنه غلاة الصهيونية وسماسرة الاستعمار [17] وكانت هذه المؤامرة سببا كافيا بأن يجتمع الثعالبي بشيخ الأزهر محمّد أحمد الظواهري الذي تولى المشيخة سنة 1929 م، ويواجهه بالمهانة التي شعر بها العالم الإسلامي إثر المواقف التي اتخذها شيخ الأزهر بخصوص انعقاد المؤتمر يقول "أظنّكم يا فضيلة الشيخ تشعرون بالموقف المخجل الذي استهدف له الأزهر وهو إلى جانب اليهود يعمل لإحباط المساعي في انعقاد أول مؤتمر عالمي للمسلمين بدل أن يكون من أعزّ مناصريه [18] وقد أبان هذا الاجتماع عن قوّة منطق الثّعالبي وعن غبرته القومية وحميته الدينية من خلال نصرة المؤتمر وتوحيد كلمة المسلمين

15) خلفيات المؤتمر ، ص 27.

16) "فقد قابل الرأي العام الإسلامي حملة هؤلاء الشيوخ في مصر وغير مصر أفحم الردود وأقوى البراهين وتألبت عليهم الصحف الإسلامية تفندا مزاعمهم وتكتشف عما خفي من سرا ئدهم للناس بما جعلهم عبرة للمعتبرين" ص 44.

17) خلفيات المؤتمر ، ص 43.

18) نفسه، ص 68.

والعرب، في حين كانت حجج الظواهري ضعيفة تغلب عليها الانطباعات ولا تمتّ إلى مقتضيات الواقع بصلة.

ومن جهة أخرى، سعى الثّعالبي إلى الاجتماع برئيس الحكومة آنذاك صدقي باشا بعد أن أشار عليه الصحفي والكاتب محمد الههياوي بأنه " من الأفضل أن تكون هذه المقابلة مع صاحب الشأن صاحب الدولة إسماعيل صدقي باشا وأما شيخ الأزهر فما هو إلا آلة من الآلات الحكومية" [19] ولم يكن الثعالبي اقل جرأة وفصاحة وإقناعا في هذا الاجتماع من ذاك الذي كان مع الظواهري، إذ واجه صدقي باشا قائلا " نحن يا صاحب الدولة لا ننازعكم في شؤونكم فلكم أن تمضوا فيها على ما تشاعون وتريدون ولكن ليس من اللياقة أن تعمدوا لاتهام غيركم في منا ويهم البريئة التي يرمون بها لخدمة الإسلام والمسلمين ثم تأتون عبر الطريق تعرضون بأنفسكم الوقوع فيما تكرهون وقد لا يجمل بمصر وهي ما هي بمنزلتها من العالم الإسلامي أن تقف نفسها حجر عثرة في طريق شقيقاتها السّائرة بخطى ثابتة نحو التكامل الاجتماعي والتقدم الإنساني فتتهمها بالمناوأة من غير دليل ولا برهان [20].

والحقيقة أن دسائس العرب ضد المؤتمر لم تكن من خارج فلسطين فحسب، وإنما شملت تواطؤ المعارضين الفلسطينيين للمجلس الإسلامي الأعلى مع الصّهيونيين، ويؤكد الثعالبي أن لولب المعارضة في فلسطين يمثله فخري أفندي النشا شيبي يقول" فهو إذا فشل في خدمة الصهيونية في مصر فانه قد لا يخفق في خدمتها في فلسطين مادام له فيه شركاء يشتغلون على حسابها ، لذلك فهو لا يقصر في أن يقوم لهم بدعاية واسعة النطاق بين قومه ومواطنيه [21].

19) نفسه ص 73.

20) خلفيات المؤتمر، ص 77.

21) نفسه، ص 96.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد شوهد تردد فخري النشا شيبي على الزعيمين الصهيونيين إبراهيم المالح ابن آني وغيرهما من اليهود المتحمسين للفكرة الصهيونية ثم يدعوهم إلى حفلات يقيمها لهم في منزله في الوقت الذي قررت فيه الأمة بالإجماع مقاطعة اليهود سياسيا واقتصاديا، ولكن الأمر لم يكن مقتصرا على النشا شيبي فحسب، وإنما شمل مساعي المعارضة الفلسطينية لمنع انعقاد المؤتمر إذ أصدرت منشورا أسمته "بيانا عاما للعالم الإسلامي حول المؤتمر الإسلامي كان القصد منه إلقاء بعض الشبهات في النفوس فيما يتعلّق بالمؤتمر وغاياته ومقاصد القائمين بالدعوة إليه [22].

لقد عاش الثعالبي كل مظاهر الخيبة من ردّ فعل النفوس الصغيرة تجاه المؤتمر، ولذلك لم يتوان عن استعراض فضائحهم الأخلاقية وأنانيتهم في قضاء مصالحهم الذّاتية وبسط همومهم السياسية دون مراعاة للمجموعة، وتبنّى قضايا الأمة بصفة عامة وبقدر ما كان الثعالبي متعجبا من موقف المعارضين داخل فلسطين وخارجها، فانه بدا متوقعا لدسائس اليهود ومكرهم يقول " ولسنا نعجب أن يقف الصهيونيون للقيام بمحاولة خطيرة كهذه، ولكن العجب كل العجب أن يتواطأ معهم على ذلك نفر من أهل البلاد المسلمين يخرجون بذلك عن دينهم وعشيرتهم كما حصل [23].

---

22) نفسه، ص 113 وبالإضافة الى ذلك فقد أرسلوا كتبا خاصة إلى بعض المقامات الإسلامية في مصر وغيرها يطعنون فيها المؤتمر والقائمين به ثم يزعمون ان : فلسطين باسرها تقاوم المؤتمر ولا تريده

سماحة الحاج امين الحسني لم يستشر ذوي المكانة من مسلمي فلسطين

الدعوة الى المؤتمر ارسلت باسم المجلس الاسلامي الاعلى

لم ينشر برنامج واضح عن المواضيع التي ستعرض في المؤتمر

الدعوة الى المؤتمر لم توجه الى الهيئات الاسلامية الممثلة في فلسطين

قيام المعارضة بتحريض المسيحين الفلسطينين على هدم المؤتمر .

23) خلفيات المؤتمر، ص 31 .

لقد سعى اليهود إلى ترويج إشاعة مفادها أن شوكت علي زعيم مسلمي الهند ومؤسس جمعية الخلافة بها يسعى إلى جعل الخلافة في بيت المقدس ويجلب الخليفة وحيد الدين إليها يقول الثعالبي "والحال أن هذا الخليفة قد توفي قبل تاريخ هذا الحديث ببضع سنين فأخذت أسلاك البرق تنقل هذه الخرافة، خصوصا بعد أن صحح الصهنيون غلطاتهم ووضعوا اسم الخليفة عبد المجيد مكان الخليفة وحيد الدين [24].

إن مسألة الخلافة إشكالية ترددت في الفكر العربي الإسلامي منذ حادثة سقيفة بني ساعدة وترسّخت في الضمائر إلى مطلع القرن العشرين مع الخلافة العثمانية، ولذلك فان إعادة الخلافة بفضل مساعي شوكت علي يمثّل حرجا للدول الإسلامية منها السعودية والأردن ومصر وتركيا ، وعلى هذا الأساس انبرى الثعالبي لتكذيب هذه الأراجيف وإماطة اللثام عن خلفياتها سواء كان ذلك في نقاشاته ومقابلاته مع شيخ الأزهر أو رؤساء حكومات في دول إسلامية مختلفة أو في تصريحاته الصحفية، وأهمها التكذيب الذي أدلى به في جريدة المقطم في عددها الصادر يوم السبت 24 أكتوبر 1931 م يقول " وأؤكد لكم تأكيدا قاطعا انه لم يشهد هذه الجلسات أحد من إخواننا المصريين ، ومولانا شوكت علي نفسه لم يكن عضوا في اللجنة التّحضيريّة ولم يحضر إلاّ جلسة واحدة، ولم يدر قط في الجلسات التي تكرر عقدها مدة شهرين كلام ما على الخلافة الإسلامية أو من هو الذي يتولّى أمرها (...) ذلك أنّ اغلب البلدان الإسلامية تحت السّيطرة الأجنبيّة لا تملك لنفسها نفوذا ولا سلطانا وللخلافة شروط أهمّها الاستقلال التام [25].

24) نفسه، ص 32.
25) نفسه، ص 38.

أثّرت هذه الأراجيف الصهيونيّة في بعض الحكومات الأجنبيّة ومن بينها الحكومة البريطانية التي عملت ما في وسعها على إقصاء العالم الإسلامي من التدخّل في القضيّة الفلسطينيّة، أما الحكومة الايطاليّة فقد كانت تخشى من التعرّض إلى القضيّة الليبيّة في المؤتمر، أمّا الحكومة التركية فقد تخوّفت من استغلال الدين الإسلامي واستعادة الخلافة لأغراض سياسية تتبنّاها دول عربيّة.

ومجمل القول إن الثعالبي بذل مساعي جبارة في تفنيد مزاعم اليهود والمعارضين من الفلسطينيين وغيرهم، ويتجلى ذلك في عمله الدؤوب في مصر وفي حرصه على دعوة كبار الشخصيات وتعبئة المؤتمر وإنجاحه، يقول في رسالته الأولى للشيخ أمين الحسيني "اتصلت بالأمس مع الصديق الجليل مهدي بك رفيع مشكي على أن يجتمع قريبا بسفير إيران في مصر لتحرير قائمة بأسماء الذوات اللذين يدعون إلى المؤتمر من فارس لإرسالها إلى سماحتكم وبعد بضع دقائق سأذهب إلى السفارة الأفغانية لكتابة قائمة بأسماء مواطنيها لأرسلها إليكم أيضا [(26)].

- توحيد الصّفوف وإقناع الدّول :

لقد أسفرت مساعي الثعالبي في إفشال محاولات معارضي المؤتمر والتصدي لمكائد الصهاينة وتألب بعض الدول الأجنبية عن بلوغ الغاية في إقناع الرأي العربي والإسلامي بحسن نوايا المؤتمرين وبمنفعة المؤتمر في خدمة العرب والمسلمين على جميع الأصعدة ويظهر هذا الأمر في ما آلت إليه محادثة الثعالبي مع الشيخ الظواهري إذ تكلّم هذا الأخير في صيغة حازمة عليها مسحة من النّدم فقال : " ما مضى مضى، فلا عتاب ولا ملامة وسآمر الآن

26) نفسه، ص 150.

بوقف الحملة حتى يتبن لنا أن الأمر بخلاف ما وضّحتم ولقاء ذلك أرجو إسكات الأقلام الصاخبة ضدّ الأزهر [27].

يكمن فضل الثّعالبي في تقديرنا في أنه تمكّن من إبراز مواضع الدّاء في سياسة العرب والمسلمين الداخليّة منها والخارجيّة، وتمكّن من أن يبين أنّ الخلل لا يسلط من خارج هذه الدّول، وإنّما هو خلل يحيا في داخلها لان الطعنة في هذه السياسات تأتي من أبنائها وليس من أعدائها إذ أنّها برهنت عن عجزها في احتوائهم وتوحيدهم وإقناعهم، إنها سياسات متهافتة لأنها لا تخدم مصلحة المجموعة بقدر ما تسعى إلى خدمة مصالح فئوية و في هذا ما يتنافى وسبل النهضة.

لقد بثّ الثّعالبي هذه القناعة في ما كتبه عن المؤتمر إذ صرح في ختام حديثه مع الظواهري قائلا : " إن اللجنة كما قلت لكم لم تستثر أحدا ولم يسلط هذه الأقلام السيالة على الأزهر غير الأزهر نفسه ،وأظن متى سكت سكتت عنه الأقلام دريئة للفضيحة" [28].

لم يهادن الثعالبي في القضية الفلسطينية وفي موقفه من انعقاد المؤتمر الإسلامي بالقدس، وإنما كان يواجه القادة والشخصيات الإسلامية المعروفة بكل جرأة ورباطة جأش وهو ما يعكس إيمانه العميق بالقضية ويعكس كذلك طبيعة شخصيته القيادية الصادقة، ولذلك كان مصرّا على عدم تأجيل انعقاد المؤتمر مهما كلف الأمر، وتحتد لهجته في إقرار هذه المسألة لصدقي باشا مثلا قائلا : " ومع ذلك فإن المؤتمر سينعقد في الميعاد المضروب فمن شاء أن يشترك فيه فليأت، ومن اعرض عنه يلق خيرا، أما إساءة الظنون واتهام الأبرياء، فلن يفيد شيئا ولن يعطّل عملا شرع فيه، وحسبي أن تعلموا مما دار بيننا أن القافلة تسير

27) نفسه، ص 72 .
28) نفسه، ص 72.

وهي واصلة إلى غايتها بإذن الله [29]. هذه هي بعض الإشراقات عن علاقة الثعالبي بالقدس ويكفي في النهاية أن نورد شهادة سماحة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني عن فضل الثعالبي في نجاح المؤتمر وعن صدقه في خدمة القضيّة الفلسطينية فقد جاء في الرسالة التي وجّهها المفتي إلى أعضاء الحزب الدستوري التونسي بتاريخ 18 أكتوبر 1931 ما يلي :

" وأما ما تفضلتم بذكره بانتخاب حضرة الزّعيم الجليل العامل العلاّمة فخر العرب والإسلام مولانا الأستاذ عبد العزيز الثعالبي لينوب عنكم في المؤتمر قد تلقيناه بعظيم الشكر وجزيل الامتنان، ولا نغالي إذا قلنا أن حضرته أصبح بفضل علمه الغزير وجهاده المنقطع النظير رجل المسلمين والعرب جميعا لا رجل تونس الخضراء وحدها، وان لسيادته الفضل الأكبر في القيام بمهمة هذا المؤتمر الإسلامي العام الذي نرجو منه الخير لهذه البقاع المشرقة في هذه البلاد المقدسة وللمسلمين عامة"

وفي رسالة أخرى موجهة إلى الشّيخ عبد العزيز الثعالبي بتاريخ 20 يناير 1932م قال له الحاج أمين الحسيني ما يلي :

" أنتم أدرى النّاس بأنّ من غايات المؤتمر الذي كان لكم الفضل الأكبر في إنجاحه، أن يشكّل مركزا إسلامياً قوي يعضده العالم الإسلاميّ.

خاتمة :

لا يسعنا في نهاية هذا البحث إلاّ أن نؤكد أنّ الظّروف التي التأم فيها المؤتمر الإسلامي بالقدس لم تكن هينة بالمرّة، فقد كان العالم يمرّ بظروف عصيبة تراوحت بين الخروج من حرب عالميّة أولى واستشراف لحرب عالميّة ثانية، وكان إلى جانب ذلك يمر بأزمة اقتصادية رسّخت فكرة الاستعمار

29) نفسه، ص 79.

فأضحى العالم العربي والإسلامي فريسة تنهشها الدول الغنية وتتقاسم غنائمها، إلاّ أنّ الظروف لم تثن طبقة من المثقفين العرب والمسلمين على التصدي لهذه الحملات ذات البعد السّياسي تارة وذات البعد الديني تارة أخرى، لقد كان الثعالبي من ألمع الشخصيات التي دافعت عن القضية الفلسطينية وتبنّت قضايا الأمّة الإسلامية لأنه كان ينظر إليها نظرة كلية لا تلين لجهة من الجهات ولا تخدم مصلحة بلد دون آخر. لقد كان الثعالبي رجل فكر وقلم دون منازع ولا يمكن فهم جهوده ومساعيه في إطار المؤتمر الإسلامي إلا من خلال هذه النافذة، ولذلك كان جريئا في مواقفه لا يخاف لوم لائم وإن كان رجل حكومة أو شيخ الأزهر أو أي شخصيّة من الشخصيات التي تمثّل سلطة في ضمير العرب والمسلمين سواء أكانت روحيّة دينيّة أو سياسيّة رمزيّة.

ولكنّ السّـــــؤال الذي يلحّ على ذهن الباحث اليوم هو : هل أنّ قدر القضيّة الفلسطينيّة وعلاقة العرب والمسلمين بالقدس ظلاّ رهيني جهود السّابقين وصدقهم وجرأتهم على الأقلّ في تجربة الثعالبي وفي استشراف الزعيم الحبيب بورقيبة حين دعا إلى تنفيذ قرار الأمم المتحدة في تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب والمسلمين وذلك في خطابه الشهير بأريحا" سنة 1965 في حين لانت مواقف اللاحقين بفعل ضغوطات التبعيّة والارتهان الاقتصادي والتسلح المدمّر وعلاقات التطبيع التي تصل حدّ التنازلات المستمرّة ؟.

إنّ بعض الإجابة المطمئنة نجدها في تجربة مقاومة الشّعب الفلسطيني التي كانت آخر مظاهرها في صمود غزّة في مطلع سنة 2009م وإصرارها على مواقفها ضدّ الصّهاينة رغم ما أسفرت عنه هذه الحرب التي تعدّ بحقّ انتصارا لكلمة المسلمين رمزيّا و تظهر فعليّا بجلاء اليهود. ولكن طمعنا في مزيد الإيمان بالقضية الفلسطينيّة وتوحيد الجهود والرؤية يظلّ متواصلا بل أملا منشودا لعلّه لا يقل حماسا عن تلك الشّهادة التي أدلى بها احمد توفيق المدني في الثّلاثينات في قوله " هناك تضامن متين بين الصهيونيّة والانجليز وهنالك مؤامرة مكشوفة ضدّ العرب والإسلام بفلسطين.